الشعر بين الوثنية والإيمان

للأســـتاذ عطية الشيخ

لاحظ نقاد الأدب العربي من قبل خمود الروح الشاعرى بين العرب إثر ظهور الإسلام ، وإن الضعف الذى طرأ على الشعر لا يقتصر على الشـعراء الذين ظهروا إبان عصر النبوة والخلفاء الراشدين فحسب ، بل أدرك الشعراء المخضرمين أنفسهم ، فسكت مكثرهم وضعف قويهم .

واتخذ هؤلاء النقاد من الموازنة بين شـعر لبيد وحسان فى الجاهلية والإسلام برهاناً على صدق دعواهم ، وعللوا ذلك بأسباب شتى منها : انبهار شعراء الجاهلية ببلاغة القرآن الذى أخمدتهم فصاحته ، ومنها تغير الموضوعات التى اعتادوا النظم فيها بعد أن أصبحت منكرات يحرمها الإسلام : كالفخر بالنسب ، وتمجيد العصبية ، والحض على الثأر ... الخ ، ومنها اشتغال العرب بالحروب ضد الإسلام أولا ، ولنشر سلطانه فى الآفاق بعد أن آمنوا به ثانياً ؛ ومنها أن الشعراء المخضرمين أدركوا الإسلام فى شيخوختهم فشاخ شعرهم وخبت أرواحهم ، كما شابت وضعفت جسومهم ؛ ومنها أن القرآن العظيم نال من قدر الشعر والشعراء فى مثل قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ... الآيات » ، إلى غير ذلك من العلل المعروفة لطلاب الأدب .

وعندى أن هذه الأسباب مع وجاهتها إنما هى أعراض لعلة كبرى ، وأن ما لاحظه نقاد الأدب العربى لا ينحصر فى عصر صدر الإسلام وحده ، ولا فى شعراء العربية فحسب ، وإنما هو حالة عالية للشعر والشعراء فى كل زمان ومكان ، خلاصتها أن الوثنية والزندقة والإباحية من عوامل نمو الشعر ، وأن الإيمان والاستقامة والفضيلة من عوامل ضعفه ، وأن البيئات الوثنية أخصب للشعر من بيئة الإسلام والإيمان بمعناهما الأعم ، وبذلك نستطيع أن نعلل خلو الشعراء الوثنيين فى الهند عن الشعراء المسلمين هناك مع اتحادهم فى البيئة والجنس؛ وخلو أوربا فى العصور الوسطى أيام تغلب سلطة الكنيسة من شعراء مجيدين كهوميروس قبل المسيحية وكهيجو وجوته بعد عهد الإحياء ، وتغلب روح الشك وضعف الكنيسة ، وعدم ظهور شاعر يهودى يؤبه له لعراقة هذا الشعب فى الإيمان بتعاليم دينه ، وجمال شعر الأندلس وقوة خياله فى عصر ملوك الطوائف بعد ضعف الشعور الدينى وشيوع التحلل والإباحية ، وظهور شعراء مجيدين فى لغة الضاد بعد غزو الآداب والعقائد والعلوم والجيوش الأوربية للبلاد غزواً زعزع الإيمان بالقديم ، وضعف الشـعر العربى فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين ، وقوته قبل ذلك العصر فى الجاهلية ، وبعده فى أيام الأمويين والعباسيين عند ما ضعف الوازع الدينى ودخل فى حمى الدولة الإسلامية كثير من الشعوب الأعجمية ، وأشاعوا فى العرب عاداتهم وعقائدهم وتقاليدهم وأمراضهم الاجتماعية !

يا هـل ترى أظرف من يومنا ... قلد جيد الأفق طوق العقيق

وأنطق الورق بعيدانهـا ... مرقصـة كل قضيب وربق

والشمس لا تشرب خمر الندى ... فى الروض إلا بكؤوس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان ، وردوه من الغيظ إلى أضيق مكان . فقلت له يا سيدى هذا هو السحر الحلال فبالله إلا ما زدتنى من هذا النمط فأنشد :

أدرها فالسماء بدت عروساً ... مضمخة الملابس بالغـوالى

وخد الروض أحمره صقيـل ... وجفن النهر كحل بالظلال

وجيد النصن يشرق فى لآل ... تضيء بهن أكناف الليـالى

فقلت زد وعد ، فعاد والارتياح قد ملك عطفه ، والتيه قد رفع أنفه ، وأنشد :

لله نهـر عنـد ما زرته ... عاين طرفى منه سحراً حلال

إذ أصبح الظل به ليـلة ... وجال فيه الغصن شبه الخيال

فقلت زد فأنشـد :

فلما ماج بحر الليـل بينى ... وبينكم وقد جـدت ذكرا

أراد لقاءكم إنسان عينى ... فمد له الظـلام عليه جسرا

فقلت إيه ! فقال :

ولما أن رأى إنسـان عينى ... بصحن الخـد منه غريق ماء

أقام له العذار عليه جسراً ... كما مد الظـلام على الضياء

فقلت أعد ، فأعاد وقال حسبك لئلا تكثر عليك المعانى فلا تقوم بحق قيمتها ثم أنشد :

هـات المدام إذا رأيت شبيهها ... فى الأفق يا فرداً بغير شبيه

فالصبح قد ذبح الظلام بنصله ... فغدت تخاضبه الحمائم فيـه

(بغداد) ضياء الدفيلى

وعدم ظهور الشعراء الكبار فى روسيا السوفيتية لإيمان الروس العميق بمبادئ الشيوعية واتخاذهم منها ديناً هم أحباره وحواريه ؛ ويمكن تعليل ذلك بأسباب منها :

١ — الشعر فن جميل يتأثر بالعاطفة وينبع منها ، ويؤثر فيها ، ويقف عندها ؛ والإيمان مرتبة تتجاوز العاطفة إلى الفكر والإرادة ، وهو نوع من المعرفة والتفكير محصور فى نطاق العقيدة والناموس ، ومتى تحكم العقل وأحيط بالفكر وقويت الإرادة وأخلد القلب إلى يقين العقيدة ، فلا مجال لخيال ولا جموح لعاطفة ، والحب جميعه موجه للمعبود المعلوم المجهول ... ولذلك تزدهر الفنون الجميلة كلها — لا الشعر وحده — فى الوثنيات أكثر من ازدهارها فى ظلال الإيمان واليقين ، وكنف الإسلام والتوحيد ، فالنحت والتصوير والغناء والموسيقى والتمثيل والأناشيد أسس وأصول للديانات الوثنية وطقوسها ، وليس الأمر كذلك فى الإسلام واليهودية والنصرانية ، وإذا رأيت فى هذه الأديان شيئاً من ذلك ، فهو أثر من آثار الوثنيات السابقة للأمم التى اعتنقت هذه الأديان .

٢ — يعلم الشادون فى الأدب أن الاشتغال بالعلم والفلسفة يضعف الشاعرية ، وأن شعر الفقهاء والفلاسفة والعلماء خال من الجمال الفنى ، يكاد ينوح منه ثقل الفقه ، وجفاف العلم ، وتعقيد الفلسفة ، ذلك لأن الإنسان يعسر عليه أن يعيش فى حياتين فكريتين مختلفتين : إحداهما يسودها التفكير المنطقى ، وأخراهما يسيرها الوجدان والعاطفة ، ولأن ألفاظ أية لغة من اللغات قسمان قسم محدود المعنى محصوره ، وقسم يشتمل بجانب معناه الأساسى على معان فرعية يثيرها فى النفس جرس حروفه ، أو لفظ آخر متعاقب معه فيها ، أو أصل المادة التى اشتق منها هذا اللفظ ، أو دلالته على معنيين ، فيراد أحدهما أصلا ، ويبقى الآخر فرعاً .

والأصل فى الأسلوب العلمى أن يستعمل الألفاظ المحدودة المعانى ، كما أن الأصل فى الأسلوب الأدبى أن يستعمل الألفاظ ذات المعانى الفرعية ، وقد أشار علماء اللغة إلى المعانى الفرعية حينما ذكروا أنه لا يوجد فى المترادفات لفظان متحدى المعنى تماماً وإنما تكون بلاغة الشاعر فى تجنب الألفاظ المحدودة الصلدة القاحلة ، وتتبع الألفاظ ذات الظلال التى تضم إلى أصل معناها فروعاً وأغصاناً وأوراقاً وأزهاراً تكسب الشعر حياة وجمالاً وحركة وتصبغ عليه السمو ، وقد لاحظ ذلك قديماً بعض أدباء الأندلس ، وإن كان لم يعلل السبب ولم يزد عن ملاحظة أن بين الحروف أنساباً وقرابات تجعل لفظاً فى الشعر أجمل من لفظ آخر متحد معه فى معناه ، ومثل لذلك بكلمة « خفاتا » فى قول الشاعر:

لعمرك إنى يوم بانوا — فلم أمت خفاتا على آثارهم — لصبور

وذكر أن كلمة « خفاتا » لها من الجمال الفنى ، ما لا تصلح له كلمة « سريعاً » .

٣ — ذكر علماء النفس أن النمو فى أية ناحية من نواحى العقل الثلاث « الفكر والإرادة والعاطفة » يضعف الناحيتين الأخريين ، بمعنى أن التفكير الكثير يضعف العاطفة والإرادة ، وضربوا لذلك مثلا : الفيلسوف الذى حضر فى أخريات أيامه حفلة موسيقية فلم يفقه لها معنى ، ولم تتحرك لها مشاعره ، ولم تتأثر بها عواطفه ، فنذر أن لو عادت حياته كرة أخرى لخصص جزءاً من وقته لممارسة الفنون الجميلة ، كما ذكروا أن الإرادة تضعف العاطفة ، واستنبطوا أن قواد الجيوش لا شفقة عندهم ، وأن المرأة تطغى عاطفتها على التفكير فيكون ضعيفاً فيها .

والإيمان فلسفة يقينية لا يقوم معها شك ، ولا ينبت فى مرعاها مستحيل ، ولها منطق خاص يسيطر على ملكات النفس وقواها ، فلا يبقى لغيره مجال ، ولا يزحمه شعر ولا فن إلا ما يتصل بمنطق العقيدة ويوائمه ، ويكون إذ ذاك شعراً محلياً لا يسيغه إلا من شارك الشاعر فى عقيدته فيفقد الجمال العبقرى للفنون الجميلة الذى يجعلها لغة عامة مفهومة للناس كافة ، إذ لا يخفى أن النفوس البشرية تتحد فى إدراك الجمال الرائع ، بحيث ترى أن التماثيل والقصائد والتصاوير والمقطوعات الموسيقية العالية مقدرة عند جميع الشعوب ، محترمة فى كافة الأقطار والأعصار .

ومثال الشعر المحلى الجمال قصائد البوصيرى فى مدح النبى عليه الصلاة والسلام ، فهى عند المسلمين من أروع الشعر ، مع أن غيرهم لا يحس لها بجمال .

٤ — من شأن الإيمان غرس الطمأنينة والرضا فى النفوس فتروض العواطف الجنسية الجامحة ، ومطاردة ما يساور النفس من وساوس وألم وحيرة ، وإنما ينبع الشعر من الحب والألم ، وما أحفل حياة الوثنيين والزنادقة بألم منبعه الحيرة ، والفوارق بين الطبقات والتقاليد البالية التى لا يقبلها الأديب إذا قبلها البليد ، وما أكثر دواعى الحب والهيام فى حياة زعمائها بيد العاطفة والوجدان ، ولا قيود لها من فكر أو شريعة ، ولا مجال

للذة عندها إلا فى الحياة الدنيا ، ولا أمل لها فى آخرة ، فراحت تستوفى حظها من النعيم ، وتستمتع ما وسعها الاستمتاع بما فى الدنيا من جمال وبهاء ، منشدة قول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

أما المؤمن ، فقد اشترى آخرته بدنياه ، وجعل حياته الأولى مجازاً لحياته الثانية ، ورأى فى جمال الدنيا مفاتن يستدرج بها الشيطان الغارين إلى مهاوى الجحيم ، وهو مطمئن إلى السعادة فى الأخرى إن فقد السعادة فى الدنيا . وقد لاحظ هيرودوت من قبل عدم نبوغ الشعراء فى مصر لخلو بيئتهم من الحب والألم .

٥ — أضف إلى ذلك أن الوثنيات إذ كانت لا تؤمن إلا بمتاع الدنيا ، فتحت الباب على مصراعيه للاستمتاع بها ، وتركت للانسان إشباع شهواته منها ، واستعانت على التمكن من القلوب بالتأثير على العاطفة ، إذ كانت عاجزة عن البقاء باستعمال الفكر والمنطق ، فأصبحت تربة خصيبة لنمو الفنون الجميلة التى منها الشعر

أما أديان التوحيد ، فقد استعانت فى انتشارها بالدليل والبرهان إذا كانت قادرة على ذلك ، بل إن روح الإسلام يدعو إلى النظر والتفكير ويجافى الفنون الجميلة كلها من شعر وتصوير وتمثيل وغناء وموسيقى ونحت ، وكان أتقياء المسلمين ينظرون إلى محترفيها نظرة استنكار قد تصل إلى المقاومة والمحاربة .

٦ — معلوم أن العواطف تنشأ فى الفرد قبل نشوء الفكر ، وأن عبادة آلهة متعددة تنشأ قبل عقيدة التوحيد ، وأن الإنسان كلما تقدم خرج من حكم العاطفة إلى حكم الفكر ، ومن عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة الإله الواحد ؛ ومثل ذلك تماماً فى الأمم إذ يسبق عصرها الوثنى عصر التوحيد فيكون مساراً للعاطفة لا للفكر ، حتى تصل الأمة إلى طور التفكير والإيمان ، ولهذا يكون العهد الوثنى معاصراً العهد العاطفى فى الأمم ، ولهذا أيضاً نجد شعر الشاعر الواحد فى شبابه — أيام تأجج العاطفة — أقوى من شعره فى شيخوخته عندما ينضج تفكيره .

عطية الشيخ

وزارة المعارف العمومية

مدرسة المعلمين العليا — إعلان

تعلن مدرسة المعلمين العليا أن آخر موعد لقبول طلبات الطلبة المستجدين من الناجحين فى شهادة الدراسة الثانوية القسم الخاص دور أول سنة ١٩٤٨ والذين يرغبون اللحاق بأقسام الرياضة ، اللغة الإنجليزية اللغة الفرنسية ، هو يوم ١٩٤٨/٩/٢٥ على أن يراعى الآتى : —

١ — يشترط لقبول الطالب بقسم الرياضة أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الرياضة سنة ١٩٤٨ .

٢ — يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الإنجليزية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية شعبة الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٤٨ وأن يكون مجموع درجاته فى اللغة الإنجليزية لا يقل عن ٦٠ ٪ من نهايتها العظمى .

٣ — يشترط لقبول الطالب بقسم اللغة الفرنسية أن يكون حاصلا على شهادة التوجيهية بإحدى الشعب الثلاث سنة ١٩٤٨ قسم اللغة الفرنسية ويجوز قبول طلبة القسم الإنجليزى بشرط أن يكون الطالب حائزاً على ٦٠ ٪ أو أكثر من درجة اللغة الفرنسية ويشترط أن ينجح فى امتحان لهذه اللغة تعقده المدرسة يوم ١١ / ١٠ سنة ١٩٤٨ .

٤ — ويشترط لقبول الطالب بالأقسام الثلاث : —

(ا) ألا يزيد سنه على ٢١ سنة فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ .

(ب) أن ينجح فى الكشف الطبى وفى الاختبار الشخصى اللذين يعقدان بالمدرسة يومى ٢٩ ، ٣٠ / ٩ سنة ١٩٤٨

٥ — يمنح الطالب المقبول مكافأة دراسية قدرها ٢٤ جنيهاً فى السنة إذا كان مجموع درجاته فى امتحان الشهادة التوجيهية لا يقل عن ٦٠ ٪ من المجموع الكلى للدرجات .

فعلى راغبي اللحاق بإحدى أقسام المدرسة أن يقدموا طلباتهم إلى حضرة المدير العام لمدرسة المعلمين العليا بالأورمان — جيزة — على استمارة ٣٤ د . م مصحوبة بشهادة الميلاد أو صورتها الرسمية وبالاستمارة البيضاء الدالة على النجاح فى الشهادة التوجيهية ومجموع الدرجات ، بالتعهد المطلوب الذى يصرف من المدرسة بالمجان موقعاً عليه من الطالب وولى أمره

١٦٤